(٠+٠٠)

دورية
الشرائط
المصوّرة
العربية

العدد الأول
نوفمبر ٢٠٢٢

توحّش
قُصر نظر
ماكينة
قنينة رمل

قصص
مصورة
كاملة

سوريا
تحكي
مأساتها
وتُحكى
عنها

ملف
العدد

الثورات العربية والشرائط المصوّرة

دورية الشرائط
المصورة العربية

إعداد وإشراف
جورج خوري (جـاد)

الهيئة الإستشاريّة:
شناوي
سيف الدين ناشي
لينة غيبة
لينا مرهج
جوناثان غاير

فنانو العدد:
مجدي الشافعي
سيف الدين ناشي
جنزير
لينا مرهج
سلام الحسن
عثمان سالمي

كتّاب العدد:
جورج خوري (جاد)
أنريكه كلاوس
جوناثان غاير
جاكوب هويلت
لينة غيبة
لينا مرهج

مقابلات الفنانين:
جورج خوري (جاد)
لينة غيبة و جورج خوري (مقابلة سلام الحسن)

التصميم الجرافيكي:
شناوي
رسم الغلاف:
جنزير
رسم الغلاف الأخير:
لينا مرهج

الناشر:
معتزّ الصوّاف
مديرة الإنتاج:
عبير شاهين

ترجمة
صفاء ابراهيم
ندى صلاح

خط العناوين:
كانون ستنسل

إصدارات:
Tosh Fesh

بالتعاون مع: مبادرة معتز ورادا الصوّاف للشرائط المصوّرة العربيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت

عشق حرّية «الهامش»

جورج خوري
[جاد]

[·÷··] هي نشرة دوريّة متخصّصة في فن الشريط المصوّر للراشدين في عالمنا العربي، جاءت وليدة حاجة ملحّة لخلق مسار بحثي ونقدي وتوثيقي موازٍ لإنتاج ما صدر ويصدر عن الحركة الحديثة لهذا الفن التي توطّدت أسسها منذ أكثر من عقد على أيدي مجموعات من الشباب والشابات حلموا بسرد بصري مختلف في التعبير وغامروا من دون أن يدركوا ربّما أن ما فعلوه، خصوصاً مع بداية الثورات العربيّة، بات في واجهة المشهد الفني والثقافي المعاصر يتوجّه إلى جيل شاب يشبههم في المُعاش من الهموم والأوضاع، يتكلّم لغتهم المحكيّة بعيداً عن التكلّف، وفيها من الذاتيّة المتحرّرة والسخرية والنقد اللاذع في آن.

[·÷··] محاولة لتوثيق ما صدر ويصدر وحفظه في ذاكرة جامعة اعتدنا أن نفقدها بعد كل جديد. وإذا كانت هذه الحركة انطلقت من مجموعات خلقت شبكة تواصل بين الفنانين وتبادل في التجارب الخاصة بعيدة عن الطرق الموروثة ووسائل الانتشار المتعارف عليها، فانها اليوم تخبو وتتفكّك بعدما تراجعت وتيرة انتاجها المشترك. في المقابل بات الافراد منها أو الذين تأثّروا فيها يشكلون الرافعة البديلة كل في مكانه الجغرافي والاثني واللغوي بعدما فقدوا التواصل في ما بينهم على مستوى العموم. وربّما إذا استثنينا مهرجان "كايروكوميكس" ومن استطاع اليه الوصول في وقته، بتنا نفتقد المنبر الجامع والمرآة العاكسة للإنتاج العام واكتشاف الجديد. وقد تكون هذه النشرة بمثابة الذاكرة الجامعة التي يمكن العودة اليها.

[·÷··] محاولة لفتح مساحة نقاش وبحث ونقد ومراجعة لما يصدر سواء من انتاجنا المحلّي أو ما توافر من النتاج العالمي المعني بقصصنا وهمومنا من دون الادّعاء بمعرفة كل ما يصدر، وهو وقف على المشاركين والمتابعين، لكن مجرّد القاء الضوء يفسح في المجال أمام توسيع معرفتنا والخروج من قوقعتنا والإفادة من تجارب بعضنا والآخرين غيرنا. وكي لا تكون المشاركة غير هادفة وعشوائيّة ارتأينا أن يتناول كل عدد ملف خاص يتضمّن مقالات وابحاث ومقالات نقديّة ومراجعات سبق أن نشرت أو لم تنشر من كتّاب أو باحثين وتنحصر بالموضوع العام. كذلك هي الشرائط المصوّرة المنشورة والمقابلات لفنانين تناولوا في زمنهم الموضوع حصراً وما عكسته رواياتهم للموضوع المذكور أو من شكّل منهم علامة فارقة في هذا الشأن.

[·÷··] تحاول أن تبدأ من مكان ثيمي أو زمني ما، على أن يكون المحور الأول خاص بـ"الثورات العربيّة" التي انطلقت قبل أكثر من عشر، وأوجدت مساحة صادَفَت انطلاق وانفلاش الحركة الحديثة للشريط المصوّر والـ"أوفوريا" والغليان اللذان رافقا هذه الاحتجاجات والتغيير المنشود، وهو ليس حصراً في الانخراط السياسي والاجتماعي والاقتصادي وإنما في تغيير اللغة البصريّة والسرديّة وإن كانت غير منفصلة. فمعظم الأسس وضعت آنذاك، من اختيارات اللغة والمواضيع والشكل والمضمون، كذلك الاتجاهات في السرد والمقاربات الفنيّة التي ذهبت في بعض الأحيان بعيداً في تجربتها البديلة التي ما زلنا نخبرها اليوم. وليس في اختيار الثورات العربيّة نوستالجيا أو بكاء على أطلال اعتدناها، وانما لتوثيقها ومراجعتها والمضي قدماً نحو الجديد الذي ما زال يصدر انتاجاً وفنانين وفنانات.

[·÷··] تحاول أن تكون الحرف الزائد الذي يملأ فراغاً، ليس لأن ما قبلها عدم، وانما لجمع الشتات وتشكيل ذاكرة جامعة ومساحة نقاش وبحث في الشريط المصوّر الذي بات يشكّل حالة فنيّة وثقافيّة وفكريّة لم يعد جائزاً بقاءها في الهامش وإن كانت وصانعوها من حيث التكوين فنّاً مرادفاً للتمرّد على الموروث وعاشقاً لحريّة الهامش.

منهم ولهم ومن حولهم جاءت [·÷··]

الثورات العربية والشرائط المصوّرة

لماذا العودة إلى الثورات العربية بعد أكثر من عشر سنوات، وبعد أن استُهْلِكت كتابة ودراسة وتحليلاً ومراجعة في مجالات السياسة والإجتماع والإقتصاد وغيرها ومن كل جوانبها؟ ربّما لأننا في مجال الشريط المصوّر الخاص بالراشدين في حاجة إلى نقطة بداية نستند إليها للبناء عليها والمضي قدماً، والذي صَدَف أن رافقت انطلاقته كحركة هذه الثورات فانخرط فيها أو تأثّر بأجوائها، فكانت نقطة ارتكاز تجمّعت فيها الأسس الأولى التي طبعته خيارات وأساليب وتيّارات وتجارب أولى بَنَت شبكات تواصله، ما اقتضى التوثيق والمراجعة وبناء ذاكرة جامعة نرجع إليها. هي البدايات نعود إليها للتواصل بين جيل أطلق شرارة وآخر لا يعرف بالضرورة من أين أتت أو من قام بها. بدايات لها أسماء ومجوعات لها عناوين ومنصّات ومنشورات أسّست لما نحن عليه اليوم.
فلنراجعها...

ملف العدد

سوريا تحكي وتُحكى عنها ٦

قصة كاملة

الشرارة ١٨

دراسات

جورج خوري ٢٩
جاكوب هوبيلت ٣٤
جوناثان غاير ٣٧
لينا مرهج ٤١
إنريكي كلاوس ٤٤
لينة غيبة ٤٨

مقابلات

مجدي الشافعي صـ ٥٢
سيف الدين ناشي ٧٠
(جنزير) ٩٢
لينا مرهج ١١٥
سلام الحسن ١٤٤

قصص كاملة

مترو (الفصل الأول) ٥٨
توحش ٧٦
قُصر نظر ٩٨
ماكينة ١٢٠
قنينة رمل ١٤٩
المكتوب مبيّن من عنوانه ١٥٢

سوريا تحكي مأساتها وتُحكى عنها شرائط مصوّرة

جورج خوري
(جاد)

منذ بداية «الربيع العربي» ووصول «نسيمه» إلى سوريا الذي تحوّل بعدها ناراً وجحيماً تأتيان على البشر والحجر أينما حلّتا، لم يتردَّد الفنّانون السوريّون في النزول الى الشارع تعبيراً عن ثورتهم مستخدمين كلّ أنواع فنون الشارع وأدواته. رشّوا الغرافيتي على جدران المدن والأزقّة في القرى. وخطّوا شعارات على أقمشة وصفائح من كرتون وسواه، ورفعوها أمام عدسات الهواتف الجوّالة في محاولةٍ بدأت حالمة ومُبدِعَة وانتهت يائسة من إمكان إيصال صوتهم الحالم بالتغيير إلى عالَمٍ اكتشفوا ولو متأخّرين أن الأحلام الكبيرة غابت عنه وضاعت في أروقة السياسات ونزاعات الهيمنة الإقليميّة والدوليّة وحوّلتهم من أفراد إنسانيّين إلى أعداد تُحصى من القتلى والجرحى والمفقودين القسريين.

فنّانون مجهولون رسموا لذاكرة بيضاء وغابوا

إذا كان مألوفاً أن تُرافق الفنون الشعبيّة أي حراك جماهيري منذ نشوء كياناتنا، فبدا لافتاً أن فنّاً ناشئاً كالشريط المصوّر الذي اعتُبِرَ دائماً أداةً حكوميَّة للتوجيه السياسي والإيديولوجي للأطفال، أن يلعب دوراً طليعيّاً معارِضاً للسلطة وأن يصبح أداةً فنيّة وإبداعيّة مؤثّرة في التعبير عن أحلام "الكبار" في التغيير. واستطاع للمرّة الأولى منذ بدايته في المئوية الماضية أن يستقطب فنّانين من جيل الشباب ليتّخذوه وسيلة لا تحتاج أكثر من ريشة وورقة يخفّ حملهما في أي ظرفٍ ومكان (مازن كرباج في "بيروت لن تبكي" المثل السبّاق والأبرز في هذا الخصوص عبر تدوينه يوميّات حرب 2006). وإذا كان المراسل الصحافي ينقل واقعاً، والمحلِّل السياسي أو الباحث يتناول مقاربةً لهذا الواقع وأسبابه تفاعلاته، فإن فنّان الشريط المصوّر يتميّز بنقل حالة إنسانيّة أكثر منها لحظة توثيقيّة أو صحافيّة أو مادّة تحليليّة. هو يذهب بالرسم والكلمة إلى عالم افتراضي روائي وبصري سواء توثيقاً أو استعارةً أو تحريضاً ليحكي من موقع المعنيّ والمُعارض لمنطق السلطة الرواية الأُخرى عن شخصيّات حقيقيّة أو مُبتكَرَة تلخِّص ما يريد التعبير عنه.

لذلك لم يكن غريباً ربّما أن تستدرج الأحداث الدامية في سوريا التي باتت تُعتبَرَ المأساة الكبرى للقرن الحالي فنّاني الشريط المصوّر وكتّابه من المحليّين المنخرطين مباشرةً في الصراع إلى المتأثّرين من المحيط المُجاور أو من الأوروبيّين والأميركيين إلى حدّ أن داراً مثل "مارفل كوميكس" المعروفة بإصدارات روايات الأبطال الخارقين خرجت عن خطِّها التاريخي لتُنتِج رواية مصوّرة واقعيّة هي من بين الأكثر إنسانيّة وإحساساً بعنوان "أمٌّ من مضايا" (Madaya Mom). أو أن تحصل صحيفة مرموقة كالـ"نيويورك تايمس" في لفتة غير مألوفة على جائزة بوليتزر عن شريط مصوّر يحكي رواية عائلة سوريّة لاجئة "في العالم الجديد" وسط تزايد النزعة المحافظة المناهضة للهجرة.

شرائط من سوريا ولها

الفنّانون السوريّون كانوا في طليعة المتفاعلين مع الثورة. هم أبناؤها الذين واجهوا باللحم الحيّ آلة القمع الدمويّة ضدّها. تجنُّباً للحصار الإعلامي ومنع النشر، توجّهوا إلى العالم الافتراضي ووسائل الاتصال الرقميّة التي أثبتت فعاليّة في المواجهات التي سبقهم إليها شباب تونس ومصر وليبيا وتجمّعوا حول "كوميك لأجل سوريا" على صفحات فايسبوك. ولأنهم أعلَمُ بما قد يواجهون من ردّ، لم يوقّعوا أعمالهم وأصبحوا الجنود المجهولين لثورة حَمَلَت هي الأخرى في مفارقة من نوع آخر "حلماً افتراضيّاً". اختاروا لغة العامّة المحكيّة نقيضاً لتقليد الخطاب الإيديولوجي في دولة فاخَرَت دائماً بحفاظها على إرث العربيّة الفصحى. رووا باللون والريشة الطفولة المسلوبة والإجبار على الكراهية كما في "لَعِب"(2013)، أو ثَمَن البراءة القاتل في "مُعضّميّة"(2012) حيث طيّار من القوّات الجويّة النظاميّة يقتل ابنه من طريق الخطأ. الحالة نفسها نجدها في "القنّاص" (2012). أما في "شهيد" (2012)، فيُقتَلُ الطفل على حاجز لأنه لم يمتثل للأوامر كونه أطرش لا يسمع.

غريبٌ كيف أن الصوَرَ الدمويَّة التي اجتاحت عقولنا وأعيننا من شاشات التلفزيون وصفحات وسائل التواصل الاجتماعي لم تترك أحمَرَها على صفحات هؤلاء الحالمين، كأنهم أرادوا عن غير قصدٍ ربّما أن يحفروا في مخيّلة مجتمعهم والآخرين المتفرّجين من الخارج ذاكرة بصريّة غير السائدة تؤسِّس للمصالحة والبناء المستقبلي فأرادوها نقيّة وهم مُدركون لقوّة الصورة وترَسُّخها في مقابل الآلة الدعائيّة التي تواجههم. استعاضوا عن تفاصيل التعذيب الوحشي لمن خَضَعَ للتحقيق بشفافيّة ابتسامة طغَت على الخوف لمجرَّد أن الذاهب إليه أدرك أنه ليس وحيداً وأن أطياف من سبقوه باقية معه لتواسيه في "حَبْس إفرادي" (2012).

الدعوة إلى الانتقام والحقد الطائفي والانقسام واجهوها بقصصٍ عن التنوّع وقبول الآخر وحمايته حين تقتضي الحاجة. "كوكتيل"(2013) قصَّة صديقين من طائفتين مختلفتين (غير معلنتين) نشآ في الحيّ نفسه وكان أحدهما يدافع دائماً عن الأضعف ويحميه، وعندما كَبُرا انضمّ الأخير الى التظاهرات، فما كان من الأوّل الاّ أن تلقّى الضَرْبَ عنه وحماه لدى هجوم القوى الأمنيّة مع أنه

<
مقطع من قصة "إنكار" عن صفحة كوميك لأجل سوريا

الصفحة المقابلة تفصيلة من كتاب مشفى الحرية لحميد سليمان

كان بجانب النظام. في "طريق سَفَر" (2012) تُنقِذ امرأةٌ كبيرة في السنّ شاباً إلى جانبها (من الطائفة العلويّة) كان يضايقها عند توقّف الباص أمام حاجزٍ لمسلّحين يخطفون على الهويّة مُدَّعيةً أنه ابنها ولا يحمل هويّة. حتى في لحظات مواجهة الموت الحتمي، يُصلّي مُقاتلان من "الجيش الحرّ" أحدهما مُسلِم والآخر مسيحي جنباً إلى جنب قبل إطباق الجيش المُدرَّع عليهما في حمص المهَدَّمة في "آخر رصاصة" (2012).

فنّانون محترفون في معظمهم خَرَجوا عن النمطيّة السائدة والكليشيهات، التي، وإن كانت حقيقيّة على أرض الواقع، رفضوها وسعوا إلى تغييرها. لا فكاهة، وإن وُجِدَت فهي سخرية سوداء، وحَصْراً حين يتعلّق الأمر بشخصيّات النظام الذي على رغم معاداتهم له لا يتهجّمون على أشخاصه النافذين بالاسم إلا نادراً، عَكْسَ الفنون الشعبيّة الأخرى مثل الكاريكاتور أو الغرافيتي أو الأغاني والهتافات المُعَدَّة أساساً لدورٍ تحريضيّ من نوع آخر. وظيفتهم انتقاد الحالة وليس الأشخاص باستثناء "السيّدة الأولى" (2013)، أما الأزلام فيصوّرونهم بشكل كاريكاتوري، مأمورين محدودي الأفق إلى درجة تدعو إلى الشفقة عليهم كما في "قنّينة رَمل" (2013) أو "مطاردة" (2012) أو سلسلة "أبو موس المدسوس" (2012). لم يفُتْهم تناول الخطف بكل أنواعه، من كونه تجارة مخفيّة بين الجهات المتحاربة لِتَقاسم الأموال في "خَطف مُتبادَل" (2013)، إلى تذكير الخاطفين (عناصر من "حزب الله" اللبناني) في "اختطاف" (2012) أنهّم استقبلوا أهلهم وأووهم خلال حرب تمّوز 2006، أو وضع المتحاربين أمام لحظة دراميّة في حالة "عجوز" (2013) التي لم يشأ أحد دَفْعَ فديتها ليس بسبب كِبَر سنِّها وإنما لأن كل عائلتها وأقاربها ماتوا! وإذا كان الخطفُ للتبادُل والتجارة والانتقام هو من المواضيع المتكرِّرة، احتلَّت قصص المفقودين القسريين من الناشطين الاجتماعيين مكاناً بارزاً كون المُغيَّبين من هؤلاء هم أصدقاء ورفاق عرفهم الفنّانون مباشرة وتعاملوا معهم، وسكنوا في هاجس أنّهم قد يكونون يوماً في عدادهم فأرادوا للذاكرة والتاريخ أن يسَجِّلا قصصهم لئلا يتحوّلوا أعداداً في تقارير الجهات الرسميّة أو المنظَّمات الإنسانيّة المحليّة والدوليّة.
صحيحٌ أن مجموعة "كوميك من أجل سوريا" لم تُنتِج روايات تصويريّة طويلة، وهو ما نفتقده غالباً في إنتاجنا العربي للشريط المصوّر، وسادَها هاجس ردّ الفعل الآنيّ على الأحداث المتسارعة أمامها، ولم يُعطَ لها الوقت لأخذ المسافة اللازمة للتأمُّل في ما انغَمَسَت فيه أو للصرامة في انتقاء المهارة والحرفيّة في ما نَشَرَتْه، فاتحةً المجال أمام المشاركة المفتوحة لكل المساهمات، لكنّها من دون شكّ انفردت عن مجموعات الشريط المصوّر التي رافقت "الربيع العربي" بأنها كانت الأكثر التزاماً للثورة والأكثر فعلاً في مراحلها الرومنطيقيّة السلميّة الأولى على الأقل، وأعطت دليلاً آخر على أن هذا الفن الهامشي يمكنه أكثرَ من غيره أن يلعب دوراً مؤثّراً على مستوى التواصُل الشبابي والحراك المدني اللذين بدأت فنون أخرى تتراجع عنه.
"كوميك من أجل سوريا" أصرّت في آخر مراسلاتها أنها "ليست مجموعة مُقاومة" وأن الفنّانين الذين تطوّعوا للعمل فيها حلموا بـ"حريّة فنّية وشعبٍ حُرٍّ ووطن حُرّ"، وأن دورها في الحراك السلمي لم يَعد مَرغوباً فيه منذ تحوّل الثورة إلى صراعٍ عسكري عنفيّ لم يشهد عالَم اليوم مثيلاً له من حيثُ الفظاعة والأعداد المخيفة للقتلى والمفقودين والمشرّدين داخل أرضِهم واللاجئين خارج حدودهم والمهاجرين غرباً طلباً للجوء. لكن في التأكيد أن الفنّانين منها دوّنوا قبل غيابهم حكايات اللحظات الأولى لثورة قام بها أفراد كانوا ورَحَلوا، وأحلامٍ بالتغيير آلَت إلى كوابيس على مستوى الإنسانية. فنّانون حاولوا حفْر ذاكرةٍ بيضاء في مخيّلتنا أرادوها ألّا تكون منسيّة.

... إلاّ إذا كانت مُجتمعاتنا لا تُحِبّ البياض.

حمید سلیمان

"مطاردة"
قصة ورسم:
سلام الحسن
عن صفحة كوميك
لأجل سوريا

يبقى فارق انتماء المدرسة الرحبانيّة إلى الزمن الجميل والنهاية السعيدة المتسامحة حتى مع الأشرار، فيما يدعونا سليمان إلى أن نعيش الزمن السوري الأسود المغَلَّف بالحزن والسواد والعنف المُفرَط والنهايات المأسويّة التي لا يخرج منها سالماً سوى علاقة حبّ بين ياسمين السنيّة طالبة الصيدلة التي تدير المشفى وفوّاز الفوّاز الطبيب العلويّ الذي انضمّ إلى الثورة في أيّامها الأولى قبل أن يعبرا معاً الحدود نحو الأمان.

حميد سليمان غادر سوريا إلى مصر بعدما أُطلِقَ سراحه ومنها إلى فرنسا حاملاً معه جرح صديقه الأقرب الذي قضى تحت التعذيب في معتقلات النظام، ومرارة تخلّي المجتمع الدولي عن أمثاله من الحالمين بالتغيير فأراد تأكيد الفجيعة. الفواصل الزمنيّة بين الصفحات لا تقف عند عدد الأيّام وإنما أيضاً عند عدد الضحايا، "بعد يومين و472 ضحيّة" ويبدأ السرد. وضع سواده على صفحات "مَشفى الحريّة"، المكان الذي يعتبره بطل الرواية أكثر من شخصيّاتها الـ12، التي حسناً فعل بتقديم كلٍّ منها في بداية الكتاب. رسوم مُثقَلَة بالسواد (الكتاب غير ملوَّن) زاد حدَّتها استخدامه لتقنية التضاد المكثَّف للأسود والأبيض "high contrast" التي قضت في أحيانٍ كثيرة على وضوح التفاصيل الضروريّة للتعرّف إلى الشخصيّات الرئيسيّة وإن وُجِدَت فتختفي أحياناً، ما يزيد صعوبة متابعة القارئ السرد. الوضوح يبقى في الرسوم المنقولة بدقَّة من الصور المنتشرة بكثرة على الأنترنت (يستحضر صفحات "يوتيوب" تكراراً)، أو في بَعض التفاصيل المعماريّة. ربَّما لأنه جاء من الهندسة المعماريّة وليس من الشريط المصوّر وهو تجربته الأولى فجاء رسمه للحركة تعبيريّاً وسرده البصري مفككاً، أو لأنّه اعتمد على رسم كل كادر كلوحة تعبيريّة مستقلّة أفقدها التناسق التأليفي المُفترَض عندما اجتمعت في صفحات شريط مصوَّر.

مشفى مُثقَل بالسواد وعيون جاسم تعبر الحدود

لا أدري لماذا حضرتني أعمال الرحابنة بعد قراءتي "مشـفى الحريّة" للفنان حميد سـليمان، الرواية المصوّرة الأولى لفنّان من سوريا الحرب (صدر بالإنكليزيّة وتُرجِم إلى الفرنسـيّة في ٢٠١٦). ربّما هي المقاربة والبنية الروائيّة الأفقيّـة وما تربّينا عليه من ثقافة شـعبيّة جماعيّة: ابتكار مكان رمزي، وهنا قرية "حورية" في الشـمال السـوري قرب الحدود التركيّة، شخصيّات رمزيّة تعبّر عن نماذج من المجتمع القروي، لكن هنا، تُسـتَبْدَل الأدوار الوظيفيّة كالشـاويش والمختار وغيرهما بالانتماءات الطائفيّة والأثنيّة والسياسيّة من السـنّي والعلوي والمسيحي والكردي والعلماني والسلفي من دون الغوص في عمق الشـخصيّات وفردانيّتها والعلاقات المعقَّدة بينها.

هو ابن الثقافة السائدة لقنواتنا التلفزيونيّة أو وسائل التواصل الاجتماعي عندنا التي تتبارى في استعراض بشاعة العنف والموت، فلا يتردّد في تصوير رأس مقطوع وعمليَّة نحره، أو ساقٍ مقطوعة وتفاصيل عمليّة بترها. هو وليد هذه الثقافة التي تستطرد في السرد عوض اختزاله. يريد أن يُخبرنا بكل شيء وأن يسرد لنا كل التطوّر الزمني للثورة التي رافقها منذ بدايتها إلى مصادرتها على يد التطرُّف الإسلامي السلفي و"الداعشي" وقبل أن يضطرّ إلى المغادرة. أطال الشرح والوعظ أحيانا إلى حدٍّ أن بعض الصفحات جاءت مثقلة ببالونات الحوار والكلام على حساب الرسم المغيَّب. هو لا يدّعي التجرد وقصّته وشخصيّاته رافعات ليروي رؤيته لما جرى ومحاولة للفهم وإن أقرَّ صادقاً كما نحن بصعوبته. هذا الالتباس لو ظهر في روايته لربّما أنقذها، لكنها جاءت سرداً كرونولوجيّاً للأحداث كما شاهدناها جميعاً.

إذا كان حميد سليمان تجرّأ على خوض تجربة الرواية المصوّرة لنقل واقع حقيقي فجّ ووقح وعارٍ يُرمى في وجوهنا جامعاً كل التناقضات السورية بين أروقة مشفى ميداني، وحاولت مجموعة "كوميك لأجل سوريا" بأقلامٍ مجهولة تخليد النقاوة الثوريّة الأولى، فقلائل هم السوريّون الذين قاربوا المأساة من منظور الشريط المصوَّر، على عكس فنانين من الجوار اللبناني الذي أصبح ملاذاً لمن بقي منهم ولم يهاجر سواء بدافع التضامن أو انطلاقاً من مشاريع لمنظمات غير حكوميّة، في الغالب أوروبيّة. المقاربة هنا مختلفة وتهتمّ بنتائج الحرب على مجتمع كامل من ملايين اللاجئين موزَّعين في شتات الإقليم لنقل معاناة أفراد لديهم أسماء حقيقيّة ومكان حقيقي جاؤوا منه وإن كانوا لا يعرفون إلى أين سيقودهم المستقبل.

"بُكرا انشاالله" عن منظمة التضامن الدولي (سوليداريتي أنترناسيونال) تبنّت هذه المقاربة ودعت فنانين إلى مخيّمات اللاجئين في لبنان ومعايشة تجاربهم. منهم ديالا برصلي (فنانة سوريّة انتقلت من سوريا إلى تركيا قبل الاستقرار في لبنان). أرادت الحديث عن "الشرخ الذي أصاب العلاقة بين الرجل والمرأة نتيجة التهجير والعبء الملقى على الأخيرة لتأمين الاستمرار". لكنها ذهبت إلى أبعد ورسمت بإحساسٍ فنّي على صفحات تشبه دفتر ملاحظات وبرسوم مؤسلبة معاناة الانحدار الاجتماعي لصاحب شركة إلى عامل بناء محروم من الإقامة الشرعيّة، وتعرُّضه اليومي للمضايقات العنصريّة من المحيط أو القوى الأمنيّة التي تستدعيه مراراً للتحقيق. كم هي جميلة ريشة ديالا وألوانها التي لا تستسلم لليأس وتُبقي لحظات الأمل وخصوصاً أوقات اللهو مع الأولاد الذين باتوا خارج مقاعد الدراسة.

غلاف رواية
مشفى الحرية.
إصدارات çà et Là
فرنسا.

حميد سليمان
في مرسمه

بدوره، يستخدم كمال حكيم (لبنان) براعته الروائيّة ("زمن القنابل" 2015، عن تجربته الشخصيّة في الحرب اللبنانيّة) ليروي قصصاً من "برج عاصون" قرب الضنيّة. ملجأ جماعي يؤوي 58 عائلة سورية في مقابل 50 ألف ليرة بدل إيجار شهري للغرفة من دون جدران أو حمّامات. يتقن المزج بين السخرية اللاذعة وجدّية الموضوع ويعرف نقل تقاليد الحياة اليوميّة من طريق تفاصيل بصريّة صغيرة يجيد رسمها. هو كالصحافي يعرف ماذا يختار من يوميّات مَن توزّعوا على الطوابق وخصوصاً النساء منهم اللواتي يجتمعن على فنجانٍ من القهوة فيكشف علاقات المرأة ورجلها والزوجة وحماتها، و"صاحبة الدار" وجاراتها. صوَّرَ علاقات غير التي

يروِّج لها، فإذا باللاجئ إنسان لا يختلف عنّا إلا بصعوبة ظروفه ومعاناته. كمال حكيم ابتعد أكثر من غيره عن الصورة النمطيّة للاجئ السوري وبهذا اقترب أكثر من سواه من حقيقته كإنسان، وكلُّ ذلك عبر نصٍّ ذكيّ وسردٍ بصري محترف.
لينا مرهج تكمل مسيرتها فنّانة ناشطة حاضرة وداعمة لكل قضيّة منذ بدأت تنشر قصصاً وترسم رسوماً متحرّكة قبل عقدين. وليس غريباً بعد رواياتها المصوّرة عن الحرب اللبنانيّة "مربّى ولَبَن، كيف أصبحت أُمّي لبنانيّة"، و"كمان سنة" عن القضيّة الفلسطينيّة، و"أعتقد أننا سنكون هادئين في السنة المقبلة" عن حرب تموز 2006، وتحريرها لـ"خلف الأبواب" عن الجندرة والجنس، أن تقارب الثورة السوريّة، وكما في كل مرّة تركّز على الإنسان وخصوصاً المرأة. رَسَمَت "سميرة خليل رمز الاستمرار" الناشطة التي اختُطِفَت في بدايات الثورة وإن جاء نصّها بطاقة تعريفيّة أكثر منه رواية شخصيّة.

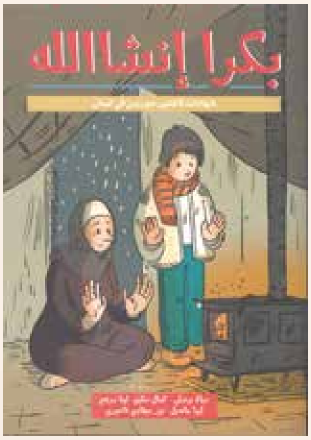

غلاف كتاب
بكرة إن شاء الله.
إصدار: Solidarités International
فرنسا.

انضمَّت إلى فريق "بُكرا انشاالله"، وتساءلت في "حيث الحياة يكون الحُبّ" (عن الشاعر محمود درويش) عمّا يمكن المرء أن يفتقده حين يلجأ إلى بلد غير الأصلي، تاركاً وراءه كل شيء باستثناء عادات وتقاليد يتمسّك بها تأكيداً للهويّة والاستمرار. لاجئون في غالبهم من بلدة القصير توزّعوا بين مخيَّم الغزيلة حيث صعوبة الحصول على مأوى وعلى الطبابة لضيق الحال وصعوبة التنقّل، ومخيَّم السمّونيّة ومخيّم قاعبين حيث مشاكل تعليم الأولاد لاختلاف البرامج وعدم القدرة على دفع التكاليف. تحضر عرساً تقليديّاً بمن حَضَر وبما توافَر وبالإصرار على التقيُّد بكل تقليد، من تحضير العروس والحنّة إلى التقديمات الماليّة التي "تساعد في بناء خيمة" وَعَدَها بها الزوج وسط "الردِّيات" والغناء والرقص فوق المأساة. في شريطها المصوَّر بقيت لينا مرهج مخلصة لأسلوبها، هي التي اعتادت رسم العيون الجاحظة في كلِّ شخصيّاتها التي تبدو متشابهة، وغابت عنها التفاصيل الغرافيكيّة الفولكلوريّة التي تحدّثت عنها. وعلى عكس كمال حكيم، بقيتْ مساهمتها أسيرة لسردٍ وصفي لحالات أكثر منها لقصص أفرادٍ لهم شكلٌ محدَّد وقصَّة مختلِفة.
نور حيفاوي فاخوري أرادت أن تكون أكثر تصويريَّة. أخَذَتنا إلى المدينة وأزقّة باب التبّانة وأبي سمرا والقبّة الضيِّقة. لافتٌ التناقُض بين هذا الخارج المزدحم وشبه الفراغ داخل غُرَف اللاجئين التي يقتصر فيها الأثاث على الضروري. بساط على الأرض للأكل والاجتماع، ومثله فُرُش فوق بعضها تُفْرَدُ وقت النوم في غياب الأسرَّة. كراسٍ من البلاستيك مصفوفة حول جدران الغرفة الفارغة لاستقبال الضيوف والأحاديث الجماعيّة، وطبعاً الحسرة على ما قَبْل. الكتاب حاذَرَ الغوص في العمق كأنّه جزءٌ من مهمَّة هدفها إلقاء الضوء على أوضاع اللاجئين وتوعية المتلقّي سواء المقيم أو في الخارج (وُضِعَ بثلاث لغات) وحضّه على المبادرة. وهو ما تسعى إليه المنظمات الدوليّة غير الحكوميّة التي ربّما هي الأخرى تريد هذه المعرِفة قبل غيرها.
وحدها لينة غيبة من روّاد الشريط المصوّر (سوريّة - دانماركيّة مقيمة في لبنان) انطلقتْ من تلقائها في مسار آخر منذ اندلاع الثورة وذهبت لتروي قصص ثمار الأرض التي بدأت تحترق تحت أقدام الجميع. حَكَت "ياسمين الشام" و"صبّارة الغوطة" و"فستق حلب" و"محلب إدلب" و"لوز حمص" وناسها في شرائط مصوّرة صغيرة. بَدَت كأنّها تحاول أن تحفظ ذاكرة الأرض التي خشيت تفتيتها، وتذكير ناسها بما يجمعهم فيها غير الشعارات الرنّانة أو التقاسم الطائفي والمذهبي والعرقي الذي يهدِّدها. في مكان آخر، عادت إلى الوراء، إلى زمن "التربية في ظل الخوف" (منشور على موقع The Nib) والسنوات القليلة التي عاشتها في سوريا في ظلّ نظام التعليم البعثي والقمع الفكري والطغيان الإيديولوجي والتدريب العسكري منذ الصغر. رَسَمَت شريطاً بيوغرافيّاً يمكن اعتباره شهادة حيّة عن البنية التربويّة لثقافة الخوف التي تساهم في أن يفهم من لم يعشها خلفيّة العنف الذي يمارسه الأطراف المتحاربون. أما في مساهمتها الأخيرة بعنوان "جاسم" فالتفتت غيبة إلى الإنسان في شخص ناطور البناية المقابلة لسكنها لتحكي من خلاله مأساة ضحايا لعبة انتقال الصراع والنفوذ

كمال حكيم

العسكريّ من الجيش النظامي، فمقاتلي "داعش" لينتهي بين أيدي الميليشيات الكرديّة المهدّدة باجتياح القوات التركية لولا الوجود الأميركي، هو الذي ترك عائلته وراءه في بلدته جرابلس في عين عرب التي لا يستطيع الوصول إليها.
عيونٌ سائحة ومتأمِّلة بصمت في البعيد الذي يتخطّى الحدود. عيونٌ سوريّة ترتشف القهوة الصباحيّة وتُطِلّ من خلف زجاج مدخل بناية في بيروت. عيونٌ تختزل وحدها مأساة اللجوء.

صباح الخير يا جاسم.

جاسم
لينة غيبة

Zero Calcare